جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

ملامح التكامل الديني من منظور طه عبد الرحمان
-كتاب روح الدين نموذجا-

Features of religious integration from Taha Abdel Rahman's perspective
-The book "The Spirit of Religion" is an example

عبد الكريم سناني[1]
senani18abdelkrim@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 **تاريخ النشر**: 2025/06/01
Received: 30/01/2025 **published: 01/06/2025**

ملخص المقال:

يضطلع المفكر والفيلسوف"طه عبد الرحمان" بمنظومة فكرية قائمة على دخيرة اصطلاحية مهمة، يقف هذا المقال عند أحدها وهي التكامل الديني، هذا الأخير الذي يؤسس لحقيقة التعبد الجامع بين المادي واللامادي أو بين المرئي والغيبي، ويتأسس على إشكال حضاري وفكري ناقد لأفكار العلمانية الضيقة، ومؤسس لطروحات الائتمانية المتسعة.

كلمات مفتاحية: الفكر، الدين، التكامل، التكامل الديني.

Abstract:

The thinker and philosopher "Taha Abdel Rahman" undertakes an intellectual system based on an important terminological reserve, this article stops at one of them, which is religious integration, the latter of which establishes the truth of worship that unites the material and the immaterial or the visible and the unseen, and is founded on the causes of a civilizational and intellectual problem that criticizes the narrow ideas of secularism, and establishes the proposals of broad trust.

Keywords. thought; religion; integration; religious integration

(1) جامعة جيجل الجزائر

مقدمة:

أثارت مسألة التكامل في ساحة الفكر العربي الإسلامي العديد من الإشكاليات سواء على المستوى الفكري المعرفي أو الديني أو حتى الاجتماعي والاقتصادي، وبذلك استطاعت هذه الحركة العلمية استرجاع العديد من المفاهيم الفكرية والفلسفية ليس من باب التحديد فقط بل من أبواب أخرى تتعلق أساسا بالمنطلق والمصب.

لتصل الضرورة المعرفية وحتى الحضارية للكلام عن التكامل الديني والتي أثارت إشكالات كثيرة، أسالت حبر الكثير من المفكرين والفلاسفة منهم "طه عبد الرحمان".

ومنه فإننا إذا أردنا الوقوف عند هذا المصطلح يمكن القول أن أساس طرح إشكالي تصدى له طه عبد الرحمان من خلال الرد على النظرة الفصلية بين الدين والسياسة.

لذا لمعالجة هذا الطرح الطهائي لابد من الوقوف عند هذه النقاط:

أ- إشكالية المصطلح عند طه عبد الرحمان.

ب- أسس التكامل الديني.

أولا: إشكالية المصطلح عند طه عبد الرحمان:

تعد النظرة الموسوعية من خلال المفاهيم التي أعيد بناء منظومتها في ساحة الفكر العلمي، وبخاصة مع بدوّ القابلية والاقتناع بتكاملية المعارف المتنوعة والعلوم المختلفة، على اختلاف ميادينها ومجالات تداولها، لتحط رحاها على التكاملي الديني.

هذا الجانب الذي لم يستثنى من هذه النظرة ومن هذا التصور، خصوصا وأن النظرة الدينية متميزة بتعدد الوجود الإنساني، أي أن هذا الأخير مزدوج الوجود اضطرارا، لا اختيارا، فهو موجود في العالم المرئي ويتواجد أيضا في العالم الغيبي، كما أن مقادير هذا الازدواج تختلف باختلاف الأفراد والمجالات، فقد يشتد حتى كأن العالمين عالم واحد، أو يخف حتى كأنه لا صلة بينهما (روح الدين، 2012، صفحة 51).

وبذلك فالإنسان لا يحيى في عالم واحد بل أكثر من ذلك، سواء تعذرت رؤيته لذلك في الحال أو في المستقبل.

فالنظرة الدينية تؤكد على أن الإنسان باعتبار تركيبته المتعددة، من روح وجسد، وعقل، كل هذه المكونات تتسم بسمات معينة أُدركت أم لم تُدرك، ولذا فالروح لها سمة العروج أي (الارتحال إلى أعلى) وهي إشارة إلى الارتقاء في سلم الكمال، والجسد له سمة الجذب إلى الأسفل (الجاذبية) في العالم المرئي، المدرك، والعقل له سمة التحرك أفقيا وعموديا، فيوجه أعمال الإنسان ويتفقد أحواله ويعدّد أوضاعه، وبذلك فهو يتحرك في عالمي الغيب والشهادة، أو بين العالمين، المرئي والغير مرئي.

ولذا فإن نظرة الدين المتكاملة للإنسان تجعله كائنا حيا ذو طبيعة متعدية لا قاصرة بل الموجب بالذكر أن فاعلية الإنسان على ظهر هذا الكوكب قاصرة ومحدودة، ما لم يتقدم الدين الذي يعد أفضل طريقة يدبّر من خلالها هذا الإنسان تحقيق إنسانيته، إذ لا يمكن له ذلك إلا بتنزيل العالم الغيبي إلى مرتبة العالم المرئي هذا مع مراعاة أسباب وقواعد التشهيد (روح الدين، 2012، صفحة 51)، هذا أي إنزال عالم الغيب إلى الشهادة، ولذا فهذه العملية التي يقوم بها الإنسان، لا يمكن أن يقوم إلا من يمكن وسمه بالفاعل الديني فقط.

والفاعل الديني (وهو كل من يتعاطى العمل الديني، مؤمنا كان أو داعية أو واعظ، ففيها صوفيا، إماما)، وهذا العمل هو ما يصطلح عليه بالتشهيد، وهو أن يشاهد العالم الغيبي في عالمه المرئي، وهذا المسلك الذي يختص به الدين حتى يحقق مقاصده وغاياته يتطلب مراعاة قواعد أو مبادئ، وهي المبادئ التي توصل إليها المفكر المبدع وصاحب النظرية التكاملية في التراث، طه عبد الرحمان من خلال العديد من كتاباته، وأهمها روح الدين الإسلامي من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، حيث أكد على أن الطريق الديني يقوم على مبادئ تمكن الفاعل الديني من ممارسة التشهيد.

وتمثلت هذه القواعد أو المبادئ الثلاث في:

1- مبدأ الفطرة.

2- مبدأ التفاضل.

3- مبدأ التكامل (روح الدين، 2012، صفحة 51).

ونحن إذ نتناول هذه المبادئ بصورة مختصرة سوف نركز على المبدأ الثالث والمتعلق بالتكامل، هذا ليتطابق وعنوان المقال ومقصد ورقتنا البحثية.

أولا: مبدأ الفطرة:

لا ريب في أن خلق الإنسان له ما يؤكد هذا، فكونه خلق أول ما خلق "على هيئة تحفظ سابق صلاته بعالم الغيب، بحيث يحمل روحه قوة خاصة أشبه بذاكرة سابقة على ذاكرته التي يملكها في العالم المرئي، وهذه القوة الروحية التي تحفظ ذكريات عالم الغيب أو قل هذه الذاكرة الغيبية أو الأصلية، اختصت في الإسلام بمصطلح الفطرة" (روح الدين، 2012، الصفحات 51-52).

وعليه فإذا كان طه وصفها بالقوة الروحية التي تحفظ ذكريات عالم الغيب، فإن الكثير وصفها بالقابلية للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له (التوهامي، 2012، صفحة 54).

وبيّنها البعض بحجية الآية واضحة في أن الله فطر الخلق على معرفته منذ أن كانوا في الذرّ وأخذ عليهم العهد على ذلك وأن الخلق وافقوا عليه"، ثم يقول في هذا سيد قطب: "على أن هناك تفسيرا ... بأن هذا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم هو

عهد الفطرة، فقد أنشأهم مقطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده أودع هذا فطرتهم فقد أنشأهم مقطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده" (سيد، صفحة 1393).

ومن خلال هذه التعاريف والشروحات يمكن القول إنّ هذه الازدواجية في الوجود من خلال الجمع بين عالمي الغيب والشهادة تجسدها الفطرة، وذلك من خلال النظر إلى كلا العالمين الملكي والملكوتي مما ييسّر انتفاض الفطرة من تحت الرّكام لإدراك الإعجاز الذي يدلّ على البارئ الواحد القدير.

فالفطرة هذه تنتفض عند الشدة وكذلك عند الروعة، ومن أجمل الأوصاف لهذا الأساس الجامع بين التشهيد والتغييب ما وصفه طه في قوله: فإن السبب في القدرة على التشهيد هو وجود الذاكرة الأصلية، فلولا الإنسان يحمل في روحه ذكريات عن حقائق غيبية لما سعى جاهدا إلى أن يتبيّن وجوده حضورها في عالم الشهادة، حتى يجعل منها قوام حياته في هذا العالم فترتسم في ذاكرته المرئية ارتسامها في ذاكرته الغيبية، وليس أمر الدين في الواقع إلا ذلك الطريق الذي ينبغي أن يسلكه التشهيد حتى يؤتي ثماره الروحية (روح الدين، 2012، صفحة 52).

وعليه ومما سبق نصل إلى أن هذا الإنسان يملك ذاكرة سابقة على وجوده يستعملها أو بعبارة أخرى يتوسل بها في سعيه ونشاطه المتعدد العوالم ونعرض تحقيق التشهيد والذي بدوره تترتب عليه الحقائق التالية:

1- أولا أن هذه الحقائق الموجودة في الذاكرة الأصلية (المخفية) للإنسان تتفاوت معانيها الروحية، حسب الفاعلية الدينية لهذا الإنسان.

2- تشهيد هذه الحقائق الروحية (الذاكرة الأصلية) تسبقه الشهادة في الوجود، ولأن التشهيد هي: الفاعل الديني من عالم الغيب إلى عالم الشهادة من عالم الملكوت إلى عالم الملك، في حين الشهادة سابقة في عالم الملكوت.

3- كما أن أصول الحقائق الروحية هي من تكون باعثة على عملية التشهيد الذي يمثلها الفاعل الديني.

وعليه فإن هذه الحقائق جميعها والتي تختزنها الذاكرة الأصلية (الغيبية) وهي ما بني عليها التشهيد تعتمد بالأحرى على حضور ما يلي:

أ- الشهادة بالألوهية (عبادة الله تعالى).

ب- الشهادة بالوحدانية (كفرده تعالى).

ج- العهد بعبادة الإله الواحد. (روح الدين، 2012، الصفحات 52-54)

وفي كل هذا نسق متبادل متكامل

ثانيا: مبدأ التفاضل:

في حقيقة الأمر أن هذا المبدأ في العمل الديني مرتبط بالأساس بمسألة التشهيد، بل بكماله أي كمال التشهيد*، أو بعبارة أخرى لا يمكن أن يحصل هذا التفاضل إلا بكون هذا الدين أفضل دين في زمانه بأن يدعو إلى عقيدته كونها أفضل العقائد تحقيقا بمعاني حضور الفاعل الديني في العالم المرئي مبرزا قدرته على أن يشهد تجليات الأفضلية الغيبية في المرئيات حوله وفي نفسه، وهذا بسبب احتفاظ ذاكرته بمعنى الألوهية، إذ لا صفة وجودية أكمل منها، ولا ذات موصوفة أكمل من الذات التي توصف بها، وفي هذا يقول طه عبد الرحمان: "ولما كان الإله في أكمل رتب الوجود لزم أن تنتظم الموجودات ترتيب مخصوص، ولا ترتيب بلا تفضيل بين الدرجات التالية، فيتأسس شهود الأفضلية على شهود الأكملية ونزول الإله الحق أكمل رتب الوجود يستلزم أن ينزل دينه أفضل رتب العمل، وبذلك يتصل الفاعل الديني بهذا التشهيد بربه في العالم المرئي عن طريق العبادة التي يقرّها دينه، مثلما جمعت الشهادة الأولى بينه وبين ربه في العالم الغيبي". (روح الدين،2012 ، الصفحات 62-63)

وعليه فإن الفاعل الديني حينما يمارس التشهيد في العالم المرئي يكون عن طريق العبادة التي يقرها الدين وبذلك فهذا التفاضل في العمل الديني، وتحقيق التشهيد يقتضي ما يلي:

1- **إبطال دعوى تكافؤ الأديان:** من خلال رفض طه عبد الرحمان ونقده لمن اعتبر أن الأديان بمثابة أنساق أخلاق تقليدية وطقوس غيبية فلا علم معها يمكن النظر فيه ولا عقل فيها يمكن الاحتكام إليه. (روح الدين،2012 ، صفحة 64)

وهذا من خلال أوجه أربع حددها في:

أ- عدم التسليم بتصور للعلم والعقل دي الصبغة العلمانية، لأن العلم والعقل إذا اعتبرنا منطقهما يحمل صبغة علمانية واضحة في افتراضات ظنية لا دليل عليها، بما أنه لا أخلاق في العلم ولا غيب في العقل، مع أن الواقع والحقيقة أن الدين بات العقل قادرا على أن يدرك لأية التجريد ونهاية الكمال، كما أن "الدين يوسع نطاق العلم، لأن الأصل في الدين العمل والعمل يورث العلم الصريح وبعض الحقائق الدينية لا تعرف إلا بعد ممارستها وبالممارسة تنفتح آفاق لم تكن قبل الشروع في العمل وممارسته". (طه، Addustour.com) خاصة وأن الدين يوسع مدركات العقل ونطاق العلم. (روح الدين،2012 ، صفحة 164)

ب- أديان التوحيد أفضل من أديان الشرك: فمن البداهة أن عبادة الإله الواحد أعقل وأقوم من عبادة كثير الآلهة، إذ لا يكمل تصور الألوهية إلا إذا اشتمل على معنى الوحدانية. (روح الدين،2012 ، الصفحات 64-65)

* يراد التشهيد: هو نزول الفاعل الديني من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بمعنى الفعل الذي يقوم به الفاعل الديني في العالم الغيبي، أي يشهده فيخرجه على صورة العالم المرئي، كما أن قوة حضور هذا التشهيد هو سر صبر المؤمن عند الابتلاءات والمحن.

ت- كما أن الأديان لا تتفاضل أنواعا فحسب: بل أيضا تتفاضل أطوارا، وبذلك فإذا ظهر أن التفاضل خاصية ملازمة للأديان وجب أن نفرق بين الأفضلية الموضوعية القائمة على تحليلات دقيقة لأصول الأديان والذاتية، والقائمة على أن الفاعل الديني ينسبها إلى دينه طالبا للاطمئنان إليه.(روح الدين،2012 ، صفحة 64)

ث- مسلمة التفاضل والفاعلين الدينيين: فالتسليم والإقرار بمبدأ التفاضل لا يعني التعامل باللاإنسانية مع الفاعليين الدينين. (روح الدين،2012 ، صفحة 66)

2- الجمع بين التفاضل الديني والتساوي في المعاملة: ويقوم هذا العنصر على أسس ثلاثة مبينة شارحة:

أ- عدم كفاية مبدأ التسامح.

ب- الحاجة إلى مبدأ المعاملة بالمثل.

ت- أصالة حرية الاعتقاد. (روح الدين،2012 ، الصفحات 67-70)

إذ يمكن القول على قدر أهمية المبادئ الثلاثة كلها؛ إلا أن مبدأ التفاضر أعزها وأكثرها فاعلية من حيث التطبيق المجسد واقعيا.

ثالثا: مبدأ التكامل:

لقد أثبتنا فيما سبق أن الإنسان ليس له وجود واحد بل وجود مزدوج لم يكن من اختياره وإذا كان الدين كما رأينا يمثل أفضل وأحسن طريقة يدير بها الفاعل الديني تنزيل العالم الغيبي إلى عالم الشهادة، وهذا بناء على مبدأ الفطرة ومبدأ التفاضل، ومبدأ التكامل.

ومن خلال هذا نجد أن هذا الإنسان إنما أشهد هذه الوحدانية وتحقق بذلك الإشهاد، وعليه فإن أمة محمد (ص) شاهدة، وعندما ترتقي الصلة بين العالمين عالمي الغيب والشهادة فإن تكامل الدين يبلغ غايته ويتحقق بصورة كلية لا مجال فيها لغير وحدانية الله، فليس بعد الوحدانية إلا الشرك، وبهذا فإن هذا التكامل الديني، إنما يستند إلى معنى الوحدانية المحفوظ في الذاكرة الأصلية (الفطرة) والذي بدوره يوصّل الحمل الديني (الفاعل الديني) إلى التشهيد الشامل والذي يبيّن لنا الصلة بين المنطلق وهو حاكم الغيب والمصب وهو عالم الشهادة.

3- وإذا كان مبدأ التفاضل كما رأينا يورّث كمال التشهيد، وهذا اعتمادا على معنى الألوهية المأخوذة أساسا من الذاكرة الأصلية لهذا الإنسان، فأيضا مبدأ التكامل إنما يورّث شمول التشهيد، بفضل معنى "الوحدانية" المأخوذة هي أيضا من الذاكرة الأولى، وبذلك فإن التفاضل ينتج عنه كمال التشهيد، وهي محاولة إنزال عالم الغيب إلى عالم الشهادة اعتمادا على معنى الألوهية فمبدأ التكامل هو الآخر يورّث شمول التشهيد، اعتمادا على معنى الوحدانية، وخلال هذا نجد الفاعل الديني بإمكانه أن يشهد على الاتساق في معاني الأحكام ومبانيها كما يشهد الاتساع في الأفعال المحكوم عليها وأشكال الحكم عليها.(روح الدين،2012 ، الصفحات 70-71).

ثانيا: أسس التكامل الديني:

انطلاقا من الكلام التحديد المفاهيمي لكل من "الفطرة" "التفاضل" "التكامل" يتأسس مفهوم مصطلح "التكامل الديني" عند طه عبد الرحمان.

هذا التكامل الديني يتجلى من جانبين اثنين يجيبان عن سؤال استشكالي مهم، وهما:

- **طبيعة التكامل(كيف يتجلى تكامل الدين؟).**
- **غاية التكامل (لماذا يجب أن يكون الدين متكاملا؟).**

1- طبيعة التكامل الديني:

وتتحدّد طبيعة التكامل من خلال عنصرين أساسين هما: "الاتساق" و"الاتساع".ومن زاوية أخرى فإن هذا الاتساق والاتساع في مبدأ التكامل هو بمثابة بلوغ الغاية في تثمين الصلة بين العالم المرئي والعالم الغيبي وبذلك يحصل إدراك سر وجوده وينهض بنفسه إلى مراتب الكمال.

فالاتساق يكون في معاني الأحكام ومبانيها والاتساع يكون في الأفعال المحكوم عليها، وأشكال الحكم عليها، ففي الأولى يشهد هذا الإنسان الوحدة الشاملة للدين وفي الثانية أن يشهد وحدانية الله في الأحكام، وهذا حتى يقدر على أن يتذكر شهادته الأولى بهذه الوحدانية، وعليه فإن الفاعل الديني الذي يمارس التدين والعمل الديني والدعوة إلى الله، حينما يشهد على وحدة الأحكام اتساقا واتساعا فهو يشهد بوحدانية الله في عالم الغيب وأيضا في عالم الشهادة.

1-1 تكامل الاتساق:

والمقصود بهذا العنصر: ارتباط أحكام الدين وتماسكها فيما بينها.

يرى طه عبد الرحمان أن هذا التكامل في طبيعته لا يتحقق إلا بالاتساق الذي يراد به ترابط أحكام الدين فيما بينها والتماسك في منطقها. (روح الدين،2012 ، صفحة 71)

حينما نقول بالاتساق يراد بها اتساق الأحكام أي لا تنافر بين هذه الأحكام فهي مركبة تركيبا غير متناقضا، سواء مع الفطرة أو مع ما يتعامل معه أو يتنافر مع أجزاءه، فأحكام الدين متماسكة فيما بينها، فالعبادات مع المعاملات والحدود والجنايات، فهو بذلك تسعى هذه الأحكام إلى تنظيم حياة الإنسان في العالم المرئي بما يجعله يشهد فيه العالم الغيبي، متواجدا فيه بروحه، فيزود بخالص الإيمان وصالح الأعمال ولا سبيل إلى تحقيق هذا التنظيم المحكم للحياة إلا بتحصيل وحدتين اثنين: "وحدة المضمون" "وحدة الشكل".

أ- وحدة المضمون:

والمضمون هو الباطن وهو تعلق أحكام الدين بعضها ببعض كل جزئية من الدين تأخذك إلى الأخرى، فالقرآن نقرأه نسقا، فوحدة البنائية القرآن أساس لفهمه والدين عموما لا يقبل التجزئ، فالتجزئ للدين يجعله متنافرا غير هادف ولا يعطي الحقيقة

كاملة، وهذه الأحكام مكونة مجموعة متكاملة، أصول العقيدة، أركان العبادة، وقواعد الأخلاق، فأصول العقيدة لا اختلاف فيها، وأركان العبادة واضحة لا اختلاف فيها كما أن قوانين التعامل واضحة وقواعد الأخلاق مبيّنة.

فأركان العقيدة ينظمها مبدأ الإيمان، وأصول العبادة ينظمها مبدأ العمل، وقوانين التعامل ينتظمها مبدأ العدل، وقواعد الأخلاق ينتظمها مبدأ الخير، فهذه جميعا متناسقة مع بعضها جميعا مشكلة روح الدين بصورة متلازمة ومحكمة، فكما أن الروح وحدة لا تنقسم فكذلك الأحكام الدينية وحدة لا يجوز أن تنقسم وهذا بفضل روح التوحيد التي تحملها.(روح الدين،2012 ، صفحة 72)

ب–وحدة الشكل:

المتفق عليه عند علماء الإسلام أن الأحكام الدينية يعتريها القطع والظن، ويتعلّقان أساسا بجانبين أساسيين من هذه الأحكام، أحدهما سياق الثبوت ويراد به الطريق الذي وصل به نص الحكم إلينا من مصدره وبعبارة أخرى هو "السند"، وسواء كان متواترا. أو مشهورا، ولهذا فقد يكون قطعيا (يفيد اليقين) أو ظنيا ويفيد علما مقطوعا به، لا تأويل فيه وهناك شيء آخر وهو نطاق الدلالة، وهو ما فهم من نص الحكم، ولهذا يختلف التقويم المعرفي لنص الحكم الديني على وجود أربعة مقررة عند علماء الأصول، وبعبارة أخرى، قد يكون النص الديني قطعي الثبوت، والدلالة معا أو ظني الثبوت والدلالة أو أحدهما قطعي والآخر ظني في الثبوت والدلالة.(روح الدين،2012 ، صفحة 74)

2-1 تكامل الاتساع:

ويراد بالاتساع أن الوحدة المضمونية والمتمثلة أساسا في روح التوحيد التي تحدد وتوجه أحكام هذا الدين سواء تعلق الأمر بالعبادة وأركانها أو الأخلاق وقواعدها أو المعاملة وقوانينها، وهذه الوحدة المضمونية والتي من خلالها ينظر إلى الدين تعنى أساسا بجانب الإتساق بمعنى الجانبالذي تأتلف به الأحكام الدينية بعضها مع البعض بفضل التوجه التوحيدي، كما يمكن أن تنظر إلى هذه الوحدة المضمونية من جانب مدى اتساعها بمعنى الجانب الذي تسع به هذه الأحكام كل الإرشادات والتعليمات والبيانات، وهذا ما يمكن المؤمن من كمال التعبد لله.

وقوم هذا التكامل على:

- السعة الجمعية.
- الصفة الحاكمية.

أ– **السعة الجمعية:** يراد بها أن الدين ينظر غلى الأشياء في كل سياق على أنها مجاميع يعرض لها الفضل من الخارج فهو بذلك يقرب بين المتباعدات ويؤلف بين المختلفات، ويصل بين المنفصلات، كما أن الأصل في الأشياء الجمع ولا يصار إلى التفريق بينها لا بدليل، وحتى إذا قام الفرق بينها لظهور الدليل، فلا تجاوز رتبته الوجودية رتبة الظاهر الذي لا يفارق التمكين، ولا تجاوز رتبته المعرفية رتبة المظنون الذي لا يفيد التحقيق. (روح الدين،2012 ، صفحة 77).

كما أن هذه السعة الجمعية لها أشكال في الدين مختلفة منها:

- ما يتعلق بالجمع بين المتماثلات في الرتبة.
- الجمع بين المختلفات في الرتبة.
- الجمع بين المتقابلات.
- الجمع بين المكونات.(روح الدين،2012 ، الصفحات 77-79)

ب- **السعة حكمية:** وأساسها الجمع بين الإحصائية والإنشائية؛ ومفادها أن هذا الدين لا ينظر إلى الفعل نظرة إحصائية جامعا بذلك بين العناصر التي يتركب منها والتي تورثه وحدة متكاملة بل ينظر بالإضافة إلى هذه النظرة الإحصائية بنظرة إنشائية تجعل مختلف عناصره تتكامل فيما بينها تكاملا تشريعيا (روح الدين، 2012، الصفحات 79-80)، وهذه السعة الحكمية هي أيضا تتخذ أشكالا أربعة مختلفة منها:

✓ **الحكم التوجيهي:**

الحكم في عمومه: صبغة شرعية خالصة، أي أنه وضع إلهي، لا وضع إنساني، وكل ما كان وضعا إلهيا، مبلّغا للناس عن طريق مرسلين منهم ليس الأصل فيه أن يقرهم على ما هم عليه من سابق الأحوال والأوصاف والأعمال وإلا فقد مبدأ الرسالة الإلهية معناه. (روح الدين2012 ,، الصفحات 81-82)

والحكم التوجيهي، ليس هو الحكم التقريري بل ينشئ بفضل تنظيمه ما لم يكن متحققا في الخارج، بحيث سيتتبع وجود هذا الحكم وجود الواقع، فيغيره على مقتضاه، ومنه يتعالق مع الحكم الديني الذي هو من جنس هذا الحكم. (روح الدين،2012 ، الصفحات 81-82)

✓ **الحكم القصدي:**

ويراد به الحكم الذي يؤلف بفضل وحدة القصد، بين أشياء تبدو مختلفة فيما بينها، متمكنا من استيعابها كلها، كما بين أنه لا قول يضاهي القول الديني في التزام القصدية بموجب صدوره عن قائل تقدس عن السهو والنسيان. (روح الدين،2012 ، صفحة 82)

✓ **الحكم الأخلاقي:**

والمراد به الحكم الذي ينشأ من دخول القيم الأخلاقية على أفعال الإنسان، وأن هذه الأخلاق المستمدة من الدين لا تنحصر في الأعمال التي لها صلة بأداء الشعائر الدينية المفروضة والمقررة وإنما تتسع لكل الأفعال التي يأتيها الفرد في حياته، سواء تعلقت هذه الأفعال بعلاقته بربه أو بنفسه أو بغيره.

✓ **الحكم الخاتمي:**

يراد به أن الدين الإسلامي يسعى إلى تحقيق وحدة دينية دون التمسك والجمود على صورة واحدة لأحكام الدين، فالذي أنزل هذه الأحكام جعلها تتخذ صورا مختلفة باختلاف الأطوار التي قد....أن يقلب فيها الدين، باعثا لكل طور رسولا يذكّر الناس بأول ميثاق أخذ منهم، فهذه الصورة تبين أن العملية غير تراكمية للأحكام بعضها فوق بعض وهذه الأطوار في الحقيقة، تعديل هذه الأحكام وتجديدها بما يحقق للإنسانية مزيدا من التقدم الخلقي والروحي، وبذلك فإن الطور الديني الخاتم متمثلا في الإسلام بمعناه الأخص، فقد جاء بأحكام تتسع للتقدم المعنوي الذي حققته للأطوار السابقة. (روح الدين،2012، صفحة 85)

2- غاية التكامل الديني:

لقد سبق وأن تحدثنا عن طبيعة التكامل الديني بنوع من الشرح، والتي كانت جوابا عن سؤال: تجليات التكامل الديني، لنتقل إلى المكمل لتلك الطبيعة وهي الغاية، والي استعدت هي الأخرى طرح سؤال استشكالي آخر هو: لماذا يجب أن يكون متكاملا؛ (روح الدين،2012، ص 71) بمعنى متسقا ومتسعا.

ولتبين حقيقة هذا العنصر وغاية من هذا التكامل الديني للإنسان حددها طه عبد الرحمان بمطالب أربعة:

أ- **مطلب المعنى**: فهذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى ينبغي أن يكون له معنى ووجود، ولذا لا يتحقق إلا بالصورة التكاملية لهذا الدين، وبعبارة أخرى هي إجابة الدين عن أسئلة القلق الوجودي من أين، إلى أين، ولم ولماذا؟ وبذلك فالدين يتضمن بكونه متكاملا الإجابة عن هذا المطلب الإنساني.

ب- **مطلب السعادة**: فالإنسان يسعى إلى السعادة دوما على الرغم أنه لن يصلها إلا بهذا الدين، إذ هناك من يطلبها لذاتها وهناك من يصلها دون طلبها، فهي تتحقق عند البعض بتلبية حاجيات مادية، الآخر يرى أنها تتحقق بالطهارة الروحية والسمو نحو المعاني الروحانية.

ت- **مطلب الكمال**: فالإنسان دوما يسعى إلى تحقيق الأفضل والأمثل ويحصل الإتقان والإحسان بصورة أفضل،وهذا مما يوحي بأن هذا الدين بالصورة التكاملية ويجعل هذا الإنسان يسعى لتحقيق هذا المطلب.

ث- **مطلب الخلود**: والخلود له معنيين، فالخلود إذا اعتبرناه لا بداية ولا نهاية فهذا لا يتصف به إلا سبحانه وتعالى، والخلود بالمعنى الساري أي الحياة التي لا بداية ولكن ليس لا نهاية فهذا الإنسان يريد أن يخلد في الدنيا بالبحث عن أعمال التي يحقق بها أعمالا في عالم الشهادة بعد ذهابه إلى عالم الغيب، ولهذا فهذا الدين يجيب عن جميع هذه الأسئلة تماشيا مع تحقيق التكامل الديني. (روح الدين،2012 ، الصفحات 82-88).

خاتمة:

خلاصة الأمر عند الكلام عن طه عبد الرحمان فإن ذلك لا يخرج عن التأسيس ببناء المفاهيمي الذي ينطلق منه فكره وفلسفته، ومن خلال هذا المقال يؤسس لمصطلح مهم وهو التكامل الديني هذا الأخير لا يتأسس على تراتبية عادية بقدر ما هي سيرورة رحية تجمع عالمي "المرئيات" و"الغيبيات" وهذا حتى تتوفر السلامة التعبدية للفاعل الديني ويمارس التشهيد على أكمل وجه.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم التوهامي .(2012) .*العقيدة الإسلامية من القرآن والسنة*. ط1، دار قرطبة.
2. طه عبد الرحمان روح الدين .(2012) .*من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية*) .ط2، بيروت :المركز الثقافي العربي.
3. عبد الرحمان ابن خلدون .(1984) .*تاريخ ابن خلدون* .بيروت :دار القلم.
4. قطب سيد .*في ظلال القرآن*) المجلد ج3.

References:

1. Ibrāhīm altwhāmy. (2012). al-‘aqīdah al-Islāmīyah min al-Qur’ān wa-al-sunnah. Ṭ1, Dār Qurṭubah.
2. Ṭāhā ‘Abd al-Raḥmān Rūḥ al-Dīn. (2012). min ḍayyiq al-‘Almānīyah ilá s‘h al-i’timānīyah. (ṭ2, Bayrūt : al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī.
3. ‘Abd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (1984). Tārīkh Ibn Khaldūn. Bayrūt : Dār al-Qalam.
4. Quṭb Sayyid. fī ẓilāl al-Qur’ān (al-mujallad j3.